بسم الله الرحمن الرحيم

لزوم ما لا يلزم في التعليم

وآخر تلوّح بعض المسئولين عن التعليم برأيهم أو عزمهم على تدريس اللغة الإنكليزية لطلاب الصفوف الثلاثة الأخيرة من المرحلة الابتدائية إضافة إلى طلاب المرحلة المتوسطة والثانوية، وعلى توفير الحاسب الآلي للطلاب (وبخاصة للمرحلة الأخيرة من مراحل التعليم العام).

وخلال ما يقرب من نصف قرن من عملي في التعليم (وأعلى درجاته) تنوعت إلى الله على منهج التنوع) وصلت إلى قناعة تامة بما يلي:

١- دراسة اللغة الإنكليزية - وكل لغة أعجمية - في البلاد العربية (وفي مراحل التعليم العام أو قبلها أو بعدها) لا تتصل بالطالب لأي غاية حقيقية أو وهمية يهدف إليها القائمون على التعليم، عدا الاستفناء بالشكل عن المضمون والتظاهر بالتطور؛ للأسباب التالية:

١) اللغة مهارة لفظية عملية تقوم على التدريب العملي في بيئة حقيقية، ولا تصلح - لو صلح غيرها من المهارات العملية - للاشتغال المعزول في الحجرة المدرسية النظرية.

٢) اكتشفت أثناء عملي مديراً للبعثات الخارجية ثم الإدارة العامة للثقافة، ثم عندما جربت الدراسة في الخارج باللغة الإنكليزية؛ أن الطالب الذي درس اللغة الإنكليزية في المرحلة المتوسطة والثانوية يستوي هو والطالب الذي لم يعرف من هذه اللغة غير كلمات (كيف تتكلم الإنكليزية في أربعة أيام بلا معلم) في حاجة كلٍّ منهما إلى دراسة الإنكليزية سنة دراسية كاملة على الأقل للالتحاق بالجامعات في انكلترا وأمريكا ونحوها.

ولقد كنت نفسي من الصنف الثاني، ولم أشهد حالة واحدة تخالف هذه القاعدة أثناء دراستي أو أثناء عملي تسع سنوات - مشرفاً على الدراسة في الخارج.

٣) أثناء عملي مديراً عاماً للتعليم الثانوي - بضع سنوات أخرى - ووقوفي على المعدل الحقيقي للرسوب والتسرب (في لغة المؤسسات التعليمية) تبين لي أنه أهم بكثير لترك الطلاب الدراسة: فشلهم في اجتياز امتحانات اللغة الإنكليزية (ومادتي الرياضيات والعلوم).

وإذا فشل الطالب سنتين أو توقف الفشل ترك الدراسة إذ لا يوجد له طريق آخر لتحصيل المعرفة في المدارس النظامية الأخرى؛ دينية أو مدنية، فطلاب مستلزمة بالتزام وفرصة النجاح في هذه المواد تقليدا للدول الصناعية الأعجمية.

٤) عندما حصلت على موافقة ولاة الأمر (حفظهم الله) قدوة صالحة على تجربة نظرية للدراسة الثانوية في أربع مدارس سميت بالمدارس الشاملة، كانت من أهم ما تميزت به: حصر الإلزام والالتزام بمادتي الدين واللغة العربية (فهما وحدهما ما ألزم الله به الطالب العربي شرعا أو قدرا)، وتخييره فيما عدى ذلك من المواد الدراسية.

وكانت النتيجة: أنه عاد إلى مقاعد الدراسة من اضطر إلى تركها بسبب عجزه عن اجتياز الامتحان في مادة ثانوية لم يفرضها الله عليه شرعا ولم يهيئه لها قدره. ومن جانب آخر: اختار ٨٠٪ تقريبا من الطلاب دراسة اللغة الإنكليزية، أما ٢٠٪ تقريبا من الطلاب ممن يعجزون عن دراستها أو لا يرغبون أو لا يحتاجون إليها فقد سلموا من ظلم وظفاره وصحبه الفاسدة: لزوم ما لا يلزم.

٥) ولو ألزم الأطفال في الصفوف الثلاثة الأخيرة من المرحلة الابتدائية (أو في صف منها صفوف المرحلة أو جميع صفوف) دراسة اللغة الإنكليزية لزاد الهدر في الإنفاق المالي والجهد والوقت، ولزادت نسب الرسوب والتسرب وهي لا تحتمل المزيد، ولتقطع طريق العلم في وجه عدد أكبر من الطلاب وتحد تردد كالبقاء بلا وعي ولا صدوه - كالعادة -: (العلم من المهد إلى اللحد).

ب - وإدخال الحاسب الآلي صفوف الدراسة على أي وجه إنما مثله مثل تدريس اللغة الأعجمية (بل لهو أسوأ) مجرد تقليد مشرف لا يسنده الشرع ولا العقل، والمستفيد الأول من ذلك الشركات الأعجمية المنتجة وعملاؤها المحليون على حساب الأمة والتعليم.

وإذا كان الحاسب الآلي مهم في هذا العصر لبعض الأفراد وبعض الوظائف والمهن؛ فإنه من يحتاج إليه ويهتم به يستطيع التدرب عليه بضعة أسابيع أو بضعة أشهر قبل (أو أثناء) مباشرة العمل في الوظيفة التي تطلبه، والتدريب أثناء العمل أعقل وأوفر وأنجع أنواع التدريب لاحاطة المدرب والمتدرب بحدود الحاجة والمهارة المطلوب التدرب عليها. وإلى الموضوع